﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء: 57]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تسابقُ الأنبياء والصَّالحين والملائكةِ إلى مرضاةِ الرَّبِّ والقُرب منه

لمّا بيَّن سبحانه أنَّ معبودات المشركين المزعومة لا ضرَّ لهم ولا نفع؛ بيَّن في هذه الآية أنَّ مَن يعبدونهم من أهل الصَّلاح هم الذين يتسابقون إلى القرب إلى الله الأحد؛ رجاء أن ينفعهم وخوف أن يضرَّهم، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَدۡعُونَ﴾: الدّال والعين والحرف المعتلُّ أصلٌ واحد، وهو أن تُميل الشَّيءَ إليك بصوتٍ وكلام يكون منك، وسائرُ اشتقاقات الباب ترجع إليه، فيقولون: دعا الله فلانًا بما يَكره: أنزل به ذلك، وتداعت الحيطان: سقط واحد، وآخر بعده، فكأنَّ الأوَّل دعا الثّاني، ودواعي الدَّهر: صروفه، كأنَّها تميل الحوادث[2]، والدُّعاء بمعنى التّضرُّع إلى الله ﷻ في طلب أمرٍ، وهو كثير[3]؛ وهو المقصود في هذه الآية.

2) ﴿يَبۡتَغُونَ﴾: (بغى) الباء والغين والياء أصلان: أحدهما طلب الشّيء، والثّاني جنس من الفساد[4]؛ والمقصود هنا الأوَّل، وبمعناه جاءت في القرآن كلُّ صيغ (ابتغى)، (ابتغاء): ﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 450.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دعو).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤصّل: (دعو).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بغي).

ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 207]، وكذلك صيغة (بغى) التي ليست لمعنى التّجاوز[1]، ومنه معنى ﴿يَبْتَغُونَ﴾ في هذه الآية؛ أيْ: يطلبون القربة بالطّاعة[2].

3) ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾: أصلها من (وسل)، والواو والسِّين واللَّام: أصلان متباينان جدًّا، الأوَّل: الرَّغْبَةُ والطَّلَبُ، يُقال: وَسَلَ؛ إذَا رَغِبَ إلى الله ﷻ، ومن ذلك القياس الوَسيلَةُ، والآخر: السَّرِقَةُ، يُقال: أَخَذَ إبِلَه تَوَسُّلًا؛ أيْ: سَرَقة[3]، والمقصود هنا الأوَّل؛ فيكون معنى الوسيلة في الآية: الطّاعة، والقُربة، والزُّلفى إلى الله، وكل ما يَتقرَّب به العبد إلى الله[4].

4) ﴿مَحْذُورًا﴾: اسم مفعول من (حذر)، والحاء والذّال والرَّاء أصل واحد، وهو من التّحرُّز والتّيقُّظ، يُقال: حَذِرَ يَحْذَرُ حَذَرًا[5]، وكل مفردات التَّركيب القرآنيّة هي بمعنى التّحرُّز[6]، وهو المعنى المُراد في الآية بأنَّ عذاب الله ينبغي أن يتحرَّز منه بتقوى الله وتوحيده، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مَـنْ يَعْبُد الله وحدَه لا يستحقُّ أن يُعْبَد

يُخبر اللهُ تعالى المشركين بأنَّ أولئك الذين يعبدونهم من الجنِّ أو الملائكة أو الأنبياء أو الصّالحين أو غيرهم هم أنفسهم في شغل شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله؛ إذ يطلبون ما يُقرِّبهم إلى الله من العمل الصالح، ويتنافسون في القُرْب من ربِّهم بما يقدرون عليه من الأعمال الصَّالحة، ويأملون رحمته، ويخافون عذابه، فعذابه سبحانه هو ما ينبغي أن يحذره العباد، ويخافوه[7].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤصّل: (بغو - بغى).
(2) السّيوطيّ، تفسير الجلالَيْن، ص: 372.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وسل).
(4) الرّاغب، المفردات: (وسل).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حذر).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤصّل: (حذر).
(7) الجزائريّ، أيسر التّفاسير: 3/ 207، ونخبة منَ العلماء، التّفسير المُيسّر، ص: 287.

وقد كان بعض العرب يعبدون الملائكة، وبعضهم يعبدون الحقَّ ﷻ، كما كان بعض اليهود والنصارى يتخذون أَحبارَهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيحَ ابن مريم، فنزلت هذه الآية في شأن من يعبدون غير الله، قال عبد الله ابن مسعود ﷺ: (نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجنّيُّون، والإنسُ الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون، فنزلت: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾)[1].

وترشد الآية الكريمة إلى أنَّ الخوفَ والرَّجاءَ والمحبَّةَ التي وصف الله بها هؤلاء المُقرَّبين عندَه، هي الأصل في كل خيرٍ، فمَن تمَّت له؛ تمَّت له أموره، وإذا خلا القلب منها؛ ترحَّلت عنه الخيراتُ، وأحاطت به الشُّرور[2].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

### نكتةُ فصلِ الآيةِ عن سابقتِها:

خـضـوعُ آلـهـةِ المشركين الباطلةِ لله الحقِّ

ورد قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ مفصولًا عن الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾؛ لوجود كمال الاتِّصال بينهما، وهو اتحاد الجملتين اتِّحادًا تامًّا وامتزاجًا معنويًّا، بحيث تُنزَّل الثانية من الأولى منزلة نفسها[3]، فقد وقعت جُمْلَةُ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ بيانًا للمدعوّين من دون الله، ولـمّا بيَّن سبحانه أنَّه لا ضرَّ لهم ولا نفع؛ بيَّن أنَّهم يتسابقون إلى القرب إليه رجاء أن ينفعهم وخوف أن يضرَّهم[4].

(1) مسلم، صحيح مسلم، برقم: (3030)، وأصله في البخاريّ، صحيح البخاريّ، برقم: (4714)، دون التّصريح بسبب النّزول.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 460.
(3) القزوينيّ، الإيضاح: 3/ 108.
(4) البقاعيّ، نَظْمُ الدُّرر: 11/ 450.

ويمكن أن يكون سبب الفصل بينها وبين سابقتها شبه كمال الاتِّصال جوابًا عن سؤالٍ مقدَّرٍ في الذِّهن تقديره: ما شأنهم؟ أو ما جزاؤهم؟.

**غرضُ الاستهلال باسم الإشارة البعيد:**

**عُلُوُّ قَدْرِ النَّبيِّين ومَكانتهم عند الرَّبِّ العظيمِ**

استُهلَّ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ باسم الإشارة للبعيد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، وقد اختلف المُفسِّرون في المشار إليهم؛ فقال بعضهم: إنَّ المقصود هو النَّبيُّون، فتكون نكتةُ الإشارة إليهم باسم الإشارة المُستعمل؛ للبعيد لزيادة تمييزهم والدَّلالة على بُعد مرتبتهم وشرفهم، والمعنى: أولئك الذين إن دَعَوا؛ يَستجِبْ لهم، ويكشف عنهم الضرَّ، وليسوا كالذين تدعونهم، فلا يملكون كشف الضرِّ عنكم بأنفسهم ولا بشفاعتهم عند الله، كما رأيتم من أنَّهم لم يُغنوا عنكم من الضُّرِّ كشفًا ولا صرفًا[1].

وقال بعضهم: إنَّ المُشار إليه هي الآلهة المزعومة، إن كانت ملائكةً أو جِنًّا أو أصنامًا أو عُزَيْرًا أو المسيح عليه السلام، وضمير الصِّلة محذوف؛ أيْ: يدعونهم، ويؤيِّده قراءةُ ابن مسعود رضي الله عنه: **(تَدْعُون)** بالتّاء على الخطاب، وسببُ النزول السابق في صحيح مسلم من كتاب التفسير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فتكون نكتةُ الإشارة إليهم باسم الإشارة المستعمل للبعيد؛ للدلالة على بُعدهم عن استحقاق العبادة، فأولئك المعبودون ملائكةٌ أو غيرهم يرجعون إلى الله في طلب المنافع ودفع المضارِّ، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، وإذا كان كذلك؛ كانوا موصوفين بالعجز والحاجة، والله تعالى أغنى الأغنياء؛ فكان الاشتغال بعبادته أولى[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 140.

(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 20/ 358، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/ 279.

### نكتةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ وصلتِهِ:

مـدحُ الأنبـيـاءِ المقرَّبين بالتضرُّعِ وابتغاءِ رضا ربِّ العالمين

ورد في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ التَّعبير بالاسم الموصول وصلته: ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾، والتَّعبير بالاسم الموصول هنا لرفع شأنهم والثَّناء عليهم، والنُّكتةُ البلاغيَّة في إيثار وضع الاسم الموصول موضع الاسم الظَّاهر أنَّه يسمح بوصفه بجملة الصِّلة، فوصفَ أنبياءَهُ بالتضرُّع إليه بالدُّعاء وابتغاء القرب والزُّلفى إليه، وفي ذلك ثناءٌ عليهم وتكريمٌ.

وروى عطاءٌ عن ابن عباس في هذه الآية، قال: ثم ذَكَرَ أولياءَه، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ الآية، قال الواحديُّ: "وعلى هذا القول تكون الآيةُ صفةً للمؤمنين"[1].

### نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ: ﴿يَدۡعُونَ﴾:

الـتـزامُ المُقرَّبين التَّضرُّعَ بالدعاءِ وتجدُّده منهم

عبَّر النَّظْم القرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ بالمضارع ﴿يَدۡعُونَ﴾ دون غيره من الأزمنة؛ لما يُفيده المضارع من افتراض تكرُّر الحَدَث وتجدُّده واستمراره[2]، وفي ذلك دلالةٌ على التزامهم التَّضرُّعَ بالدعاء وتجدده منهم، باعتبار أنَّ الدُّعاء من أبرز أعمال العبودية.

### غرضُ حذفِ مفعولِ: ﴿يَدۡعُونَ﴾:

الاقـتـصـارُ على معـنـى الـفـعـلِ لأهمّيّته

ورد في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ حذْفُ مفعول ﴿يَدۡعُونَ﴾؛ لغرض التّركيز على فعل الدُّعاء دون المدعو لوضوحه من السّياق، والتّقدير: (الذين يدعونهم من الملائكة ونحوهم)، ولمّا كان واضحًا؛ جاز حذفه، فالغرض من ذِكْرِ الفعل مُجرَّدًا الاقتصارُ على إثبات معنى الفعل؛ لإفادة الوجود المُجرَّد في الشيء دون التَّعرُّض للمعمول[3]، فيجعل المتعدِّي كغير

(1) الواحدي، البسيط: 13/ 368.
(2) فاضل السّامرّائيّ، معاني النحو: 4/ 78.
(3) الجُرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 153.

المُتعدِّي في أنَّك لا ترى له مفعولًا لا لفظًا ولا تقديرًا، وإذا كان الكلام مُنصبًّا إلى غرضٍ من الأغراض؛ جعل سياقه له وتوجُّهه إليه، كأنَّ ما سواه مرفوضٌ مطَّرح[1].

**فائدةُ الجملةِ الخبريَّةِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾:**

مدحُ عبادِ اللهِ المقرَّبين بتمامِ العبوديةِ

تضمَّن قولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ خبرًا، فائدته مدح عباد الله المُقرَّبين بتمام العبودية والخضوع لله، فهم يطلبون إلى الله الزُّلفى والقربة، ويتضرَّعون إلى الله تعالى في طلب الجنة، فهؤلاء حقًّا مَنْ يستحقّون إجابة دعائهم وكشف الضُّرِّ عنهم.

**نكتةُ فصلِ قوله: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾:**

ابتغاءُ الوسيلةِ والزُّلفى بالدُّعاءِ

ورد قولُه تعالى: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ مفصولًا عن قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾؛ لوجود كمال الاتِّصال بينهما، وهو اتحاد الجملتيْن اتِّحادًا تامًّا وامتزاجًا معنويًّا، بحيث تُنزَّل الثّانيةُ من الأولى منزلةَ نفسها[2]، فقد وقعت جُمْلَةُ ﴿يَبۡتَغُونَ﴾ حالًا من ضمير ﴿يَدۡعُونَ﴾، أو بيانًا لجملة ﴿يَدۡعُونَ﴾ [3]، فوجب فصلها.

**نكتةُ تعديةِ الفعل ﴿يَبۡتَغُونَ﴾ بـ ﴿إِلَىٰ﴾:**

منتهى المأمولِ في الحصولِ على الرضا والقبولِ

تعدَّى الفعل: ﴿يَبۡتَغُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ بحرف الجرِّ ﴿إِلَىٰ﴾ الدَّالِّ على انتهاء الغاية؛ لأنَّ غايةَ مطلوب العباد الحصول على القُرْب من ربِّهم، والحصول على الجنَّة، وهي الوسيلة[4]، وهي المُنتهى والمُرتجَى.

**نكتةُ استعمال لفظ الرُّبوبيَّة وإضافته:**

واجبُ العبيدِ في التّضرُّعِ لمُرَبّيهم بالنِّعم

ورد في قوله تعالى: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ التَّعبير بوصف

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 8.
(2) القزوينيّ، الإيضاح: 10/ 279.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 140.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 278.

﴿رَبِّهِمُ﴾ دون سواه من أسماء الله وصفاته؛ لِما في وصف الرُّبوبيَّة من الدَّلالة على الشَّفقة بالمربوب، ومحبَّة الخير له، وللتَّنبيه على أنَّ واجب العبيد التَّضرُّع والتَّقرُّب لمُربِّيهم بالنِّعَم، كما أنَّ إضافة الرَّبِّ إلى ضميرهم أفادت التَّشريف لهم وقربهم منه، فهو ربُّهم[1]، ومَن يدعو ربَّه مُحبًّا له معتمدًا عليه بقلبه مُلتَجئًا إليه؛ مُبشَّرٌ بالقُرب؛ لقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186].

### علَّة تقديم شبه الجملة على المفعول:

تخصيص الرَّبِّ ﷻ بالدُّعاء والتَّضرُّع

جاء في قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ تقديمُ شبه الجملة: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ﴾ على المفعول: ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾، والنُّكتة في ذلك: تخصيص الربِّ ﷻ بالدعاء والتضرُّع وطلب الزُّلفى لديه؛ وذلك لأنَّ الدُّعاء هو العبادة، كما قال النبيُّ ﷺ "الدُّعاءُ هو العبادة"[2]؛ لكون العبد يكون متذلِّلًا لربِّه مُنقطعًا إليه، راجيًا ما عنده، مُعرِضًا عن غيره، مُثنيًا عليه بأسمائه وصفاته العُليا، فوجب إفراد الله بهذه العبادة.

### معنى (أل) في ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾:

الوسيلة بين عموم القُرب وخصوص الجنَّة

اختلف المُفسِّرون في لفظ ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، وهم في معناها بين مُطلِقٍ ومُقيِّد؛ فمَن أطلق قال: إنَّ الوسيلة هي كلُّ ما يُتقرَّب به إلى الله تعالى[3]، وعليه تكون (ال) فيها للجنس المفيد للعموم والاستغراق، فيدخل فيها كل قربة لله، وقيَّد بعضهم الوسيلة بأنَّها الجنَّة[4]، فتكون (ال) فيها

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/ 202.
(2) أخرجه أبو داود، السُّنن: (1479)، والتِّرمذيُّ، السنن: (2969)، وابن ماجه، السُّنن: (3828)، وصحح إسناده الألبانيُّ في صحيح التّرمذيّ: (3247).
(3) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 12/ 306.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 278.

للعهد الذِّهنيّ، فالجنَّة عند المسلمين هي دار الكرامة التي أعدَّها الله لأوليائه.

**نكتةُ فصل قوله: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾:**

كمالُ الاتِّصال بين البَدَل والمُبْدَلِ منه

ورد قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ مفصولًا عن قوله تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾؛ لوجود كمال الاتِّصال بينهما، وهو اتِّحاد الجملتيْن اتِّحادًا تامًّا وامتزاجًا معنويًّا، بحيث تُنَزَّلُ الثانيةُ من الأولى منزلة نفسها[1]، فقد وقعت جُمْلَةُ: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدلًا من ضمير ﴿يَبْتَغُونَ﴾ بدل بعض، أو بدلًا من جملة ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[2]، ويمكن أن يكون سبب الفصل لكمال الانقطاع بينهما للاختلاف في الخبريَّة والإنشائيَّة، فالجملة الثّانية استفهاميَّة إنشائيَّة.

**معنى (أيّ) ودلالتها الإعرابية:**

تغيُّر الدِّلالة المعنوية باختلاف الوظيفة الإعرابية

اختلف العلماء في لفظ (أيّ) في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، وقد اختلف فيها العلماء؛ فمنهم مَنْ جعلها موصولةً، والمعنى: الذي هو أقرب من رضا الله يبتغي زيادة الوسيلة إليه؛ أيّ: يزداد عملًا؛ للازدياد من رضا الله عنه واصطفائه، ومنهم مَنْ جعل (أي) هنا استفهامية؛ أيّ: يبتغون معرفةَ جواب: أيُّهم أقرب عند الله؟[3].

**نكتةُ التَّعبيرِ بـ﴿أَقْرَبُ﴾:**

تنافسُ العبادِ في القربِ من المولى الجوَّادِ

ورد في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ لفظ ﴿أَقْرَبُ﴾، وهو على وزن أفعل التَّفضيل، وهو مشتقٌّ من القرب المقابل للبُعد من قَرُبَ يَقْرُبُ كَكَرُمَ، وزنه أَفْعَل، والمُفضَّل عليه محذوف؛ أي: أقرب من غيره، والمعنى: الذي هو أقربُ من رضا الله يبتغي زيادة الوسيلة إليه؛ أيّ: يزداد عملًا للازدياد من رضا الله عنه واصطفائه[4].

(1) القزويني، الإيضاح: 3/ 108.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 140.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 140.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 140.

### فائدةُ حذف مُتعلّق ﴿أَقْرَبُ﴾:

حـذْفُ ما يُعلم جائزٌ وبليغٌ

جاء في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ لفظ ﴿أَقْرَبُ﴾ اسم تفضيل، ومتعلِّقه محذوف دلَّ عليه السّياق؛ والتَّقدير: (أيُّهم أقرب إلى ربِّهم)[1].

### معنى الواو في ﴿وَيَرْجُونَ﴾:

جمع العباد بين رجـاء الرَّحـمة وخوف العذاب

في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ جاءت جملة ﴿وَيَرْجُونَ﴾ موصولة بالواو؛ لما بينها وبين ما قبلها من المناسبة التّامَّة في المعنى، فالجامع بين الجملتيْن هو الحرصُ على أيُّهم يكون أقربَ إليه تعالى بالطّاعة والعبادة، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ بها، ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ بتركها، كدأب سائرِ العباد، فأين هم من كشف الضُّرِّ فضلًا عن الإلهية؟[2].

### نكتة التَّعبير بالأفعال المضارعة ﴿وَيَرْجُونَ﴾ و﴿وَيَخَافُونَ﴾:

دوامُ التـقـرُّب بـالـطـاعـاتِ بين الرجاءِ والخوفِ

آثر السياق القرآني التعبير بالمضارعة في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ في كلٍّ من: ﴿وَيَرْجُونَ﴾ و﴿وَيَخَافُونَ﴾، دون غيرها من الأزمنة؛ لما يُفيده المضارع من افتراض تكرُّر الحَدَثِ وتجدُّده واستمراره[3]، وفي ذلك دلالةٌ على دوام التّقرُّب برجاء الرّحمة وخوف العذاب، وهذا دأب الصّالحين في سيرهم إلى ربِّ العالمين، فهم بمنزلة الطَّائر؛ فالمحبَّة رأسه، والخوف والرَّجاء جناحاه، فمتى سَلِم الرَّأس والجناحان؛ فالطائر جيِّدُ الطيران، ومتى قُطِعَ الرأسُ؛ مات الطائر، ومتى فُقِدَ الجناحان؛ فهو عُرضة لكل صائدٍ وكاسر[4].

### فائدةُ تقديمِ ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾:

سَعةُ رَحْمَة الله وسَبقُها غَضَبه

ورد في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 140.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 179.
(3) فاضل السّامرّائيّ، معاني النحو: 4/ 78.
(4) ابن القيّم، مدارج السّالكين: 2/ 188.

عَذَابَهُۥٓ﴾ تقديم ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ على قوله: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾؛ للاهتمام بالرَّحمة، فالعبد يحسن الظنُّ بربِّه الكريم، وسعة مغفرته، ورحمته، وعفوه، وجوده، وأنَّ رحمَتَه سبقت غضبَه، وذلك تأكيدًا لما ورد في حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قال: "إنَّ اللهَ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إنَّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهو مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ"[1]، وكذلك فإنَّ الربَّ تعالى تَسمّى بالغفور الرحيم، ولم يتسمَّ بالمعذِّب، ولا بالمعاقِب، بل جعل العذاب والعقاب في أفعاله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: 165][2].

وفي ذِكْر خوف العذاب بعد رجاء الرحمة في هذه الآية إشارة إلى أنَّ العباد في موقف الأدب مع ربِّهم، فلا يزيدهم القرب من رضاه إلّا إجلالًا له وخوفًا من غضبه، وهو تعريض بالمشركين الذين ركبوا رؤوسهم، وتوغَّلوا في الغرور، فزعموا أنَّ شركاءهم شفعاؤهم عند اللهِ[3].

### بلاغةُ الطِّباقِ بين ﴿وَيَرْجُونَ﴾ ﴿وَيَخَافُونَ﴾:

الخوفُ والرجاءُ جناحان متقابلان في السَّير إلى الله

ورد في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ الطِّباق بين ﴿وَيَرْجُونَ﴾ ﴿وَيَخَافُونَ﴾، والنُّكتة فيه توضيح المعنى بالجمع بين المعنى وضدِّه، فيجب للمؤمن أن يجمع بينهما ليستقيم حاله في الدنيا والآخرة، فهما كالجناحيْن للطَّائر لا يستغني عن أحدهما، فإذا استويا؛ استقامت أحواله، ومتى فقد أحدهما؛ اختلَّ توازنه، وفسد طيرانه.

(1) مُتفقٌ عليه، رواه البخاري (7554)، ومسلم (2751).
(2) القمّاش، مصباح التفاسير: 7/ 645.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 140.

### بلاغة الطِّباق بين الرّحمة والعذاب:

توضيح المعنى بجمع اللفظ وضدّه

في قوله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ طباقٌ بديعٌ بين لفظي ﴿رَحْمَتَهُۥ﴾ و﴿عَذَابَهُۥٓ﴾، وهو محسِّنٌ معنويٌّ، فبين تقابل الرحمة والعذاب وتخالفهما تضادٌّ يروِّع النفس، ويثير الذهن، ويجذب الانتباه، ويزيد الكلام حُسْنًا وطرافةً، كما يقوّي المعنى؛ إذ بضدِّها تتمايز الأشياء.

### نكتةُ فصل قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾:

توكيدُ الحُكم وإبرازُه في صورةٍ كلِّيَّةٍ

ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ مفصولًا عن الكلام السّابق، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾؛ لأنَّه وقع تذييلًا له، وفائدة التّذييل غالبًا توكيدُ المُذيَّل، وإبرازُ حُكمه في صورةٍ كلِّيةٍ[1]، فكانت الجملةُ الثّانيةُ مؤكِّدة للجملة الأولى، بما يُشبه أن يكون توكيدًا لفظيًّا أو معنويًّا، ففُصِلت لكمال الاتِّصال بينهما.

ويمكن أن يكون سببُ الفصل أيضًا شبه كمال الاتِّصال جوابًا عن سؤالٍ مُقدَّرٍ: لماذا يخافون؟

### غرضُ التَّأكيدِ بجملةِ مؤكِّداتٍ:

تنزيلُ خالي الذِّهنِ منزلةَ السَّائلِ المُتردِّدِ

أُكِّد قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ بـ ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسميَّة، ومجيء خبر ﴿إِنَّ﴾ جملة اسميَّة، والغرض في ذلك هو العدول عن مُقتضى الظَّاهر، بتنزيل خالي الذِّهن منزلة السّائل المُتردِّد، إذا تقدَّم في الكلام ما يُشير إلى حُكم الخبر؛ وذلك لأنَّ الإشارة إلى حُكم الخبر أوَّلًا تُورث تشوُّقًا واستشرافًا لمعرفة تمام الحُكم، فكان هذا التَّشوُّق والاستشراف كالسُّؤال من المخاطَب، فحَسُنَ خطابُه؛ إذ ذاك بخطاب السّائل المُتردِّد[2]، فكأنَّ سائلًا سأل:

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/ 386.
(2) ابن باديس، مجالس التّذكير: 2/ 97.

لماذا يخافون عذابه؟ فجاء الجواب مؤكِّدًا له: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: 57]، وسلوك هذه الطريقة شُعبة من شُعَبِ البلاغةِ.

### نكتةُ إضافة العذاب إلى لفظ الرُّبوبيَّة:

تـهـويـلُ عـذاب الرَّبِّ العظيم

ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ إضافة العذاب إلى لفظ الرُّبوبيَّة؛ للتهويل والتّعظيم، واستحضار الجلالة بوصف الربوبيّة، فعذاب الرَّبِّ العظيم عظيم، وفي ذلك استحقاق أن يتَّقى لعظمته، وإلى جدارة العباد بأن يحذروه؛ لأنَّ حقيقته تقتضي حذر المُوَّفقين، فهو جدير بذلك[1].

### إضافة لفظ الرُّبوبيَّة إلى كاف النّبوّة:

تشريفُ النَّبيِّ ﷺ والتّعريض بعقوبة مخالفيه

أُضيف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ لفظ الرُّبوبيَّة إلى ضميره ﷺ إضافة تشريف وتعظيم لرسوله، وللتعريض بأنَّ العذاب واقع على مَن كذَّب بالرَّسول ﷺ؛ لأنَّه ربُّه، فمَنْ كذَّب به؛ فقد كذَّب برسالة الرَّبِّ ﷻ على لسان نبيِّه، فيستحقُّ العذاب، وقيل أيضًا في نكتة الإضافة إنَّ العذاب حقيق بأن يحذرَه كلُّ أحدٍ، حتى الملائكةُ والرُّسلُ عليهم الصلاة والسَّلام[2].

### وجهُ دخول ﴿كَانَ﴾ على خبر ﴿إِنَّ﴾:

وجـوبُ دوامِ الـحـذرِ من العذابِ

ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ دخول ﴿كَانَ﴾ على خبر ﴿إِنَّ﴾؛ لدلالته على رسوخ الخبر في الاسم، فعذاب الرَّبِّ العظيم من شأنه أن يكون محذورًا على الدَّوام، وهذا نظيره قوله تعالى: ﴿نَنظُرُ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النّمل: 41]، دون أن يقول: أم لا تهتدي؛ لأنَّها إذا رأت آية تنكير عرشها ولم تهتدِ؛ كانت راسخةً في الاتِّصاف بعدم الاهتداء[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 141.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 179.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 427.

### نكتة الإتيان بـ ﴿مَحْذُورًا﴾ مادَّةً وصيغةً:

وجـوب الحـذر الدائمِ من عذاب الجبّار

عبَّر القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ باسم المفعول ﴿مَحْذُورًا﴾ من حَذِرَ يحذَرُ حَذَرًا، من باب تَعِبَ، وحذِرَ الشَّيءَ؛ إذا خافه، فالشيءُ محذور؛ أيْ: مخوف، وحَذَّرْتُهُ الشَّيءَ، فحَذِرَهُ [1]، ومعنى كون العذاب محذورًا؛ أيْ: جديرًا بأن يحذَرَهُ كلُّ أحدٍ من مَلك مُقرَّب ونبيٍّ مرسَل، فضلًا عن غيرهم؛ لما شُوهد من إهلاكه للقرون ومن صنائعِه العظيمة[2]، فإن لم يحذره بعض الناس لجهله، فهو لا يخرج من كونه يجب الحذر منه[3].

### علَّةُ اقتصار فاصلة الآية على تعليل العذاب:

مناسبةُ السياق لمقام التَّرهيب وتعليل العذاب

ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ تعليل العذاب دون الرَّحمة؛ مناسبةً لسياق الآيات، ففيها خطابٌ للمشركين بأن يدعوا آلهتهم المزعومة التي لا تُغني شيئًا من كشف الضُّرِّ أو تحويله، فلمَّا كان المقامُ مقامَ تحذير من الشِّرك؛ ناسبه الاقتصار على تعليل العذاب[4].

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### الحَذَرُ والخَوْفُ:

الـخـوفُ شعـورٌ نفسيٌّ، والحذرُ تصرُّفٌ عمليٌّ

يتجلّى الفرق بين الحذر والخوف في أنَّ الخوف توقُّع الضَّرر المشكوك في وقوعه، ومَن يتيقَّن الضَّرر لم يكن خائفًا منه، والحذرُ تَوقّي الضَّرر، وسواء أكان مظنونًا أم متيقَّنًا، والحذر يدفع الضَّرر، والخوف لا يدفعه، ولهذا يُقال: خذ حذرك، ولا يُقال: خذ خوفك[5]؛ لذا قال الله في الاستعداد لملاقاة العدوِّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ

(1) الفيّوميّ، المصباح: 1/ 126.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 451.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 20/ 358.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 179.
(5) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 240.

حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾﴾ [النِّساء: 71]؛ أيْ: فاخرجوا لملاقاته جماعة بعد جماعة، أو مجتمعين، من باب توقِّي الأضرار الحاصلة من المواجهة معه، وقال في صلاة الخوف في جبهات القتال: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ﴾ [النساء: 102]، فنفى عنهم في هذه الحالة إن كان بهم أذًى من مطرٍ، أو كانوا في حال مرضٍ أن يتركوا أسلحتهم، مع أَخْذِ الحذر من العدوِّ.

كما أنَّ الخوف سبب، والحذر مسبَّب عنه، فالخوف شعورٌ نفسي، قال تعالى: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [طه: 67]، والحذرُ تصرُّفٌ عمليٌّ بأخذ الأسباب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾﴾ [النِّساء: 71].

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»